ملحمة عاشوراء

للشاعر د.عبد الكريم أحمد عاصي المحمود

يا يوم عاشوراء كيف عزائي ... ولك السماء بكت بفيض دماء
فدمٌ عبيط فوق كل بنايةٍ ... أو تحت كل حجارة صمّاءِ
ولك الملائكُ في المآتم أعولتْ ... والأنبياءُ وخلّصُ الشهداءِ
والجنّ من هول المصاب تناحبت ... والمؤمنون بزفرة وبكاءِ
ولك الجنان تنهّدت بشهيقها ... والنارُ من غضبٍ على اللعناءِ
وذوتْ زهور الأرض حزناً عندما ... هبّ النعيُّ بريحه الصفراءِ
والشمس أخفت وجهها لتفجّعٍ ... بغلالةٍ من غيضها حمراءِ
والطيرُ أمست بالنواح مثيرةً ... في كل سمعٍ أوحشَ الأصداءِ
وبكت وحوشُ الأرض في غاباتها ... ووهادها وجبالها الشمّاءِ
وبكل بحرٍ أجهشت حيتانُه ... واحتدّ في أمواجه الهوجاءِ
ولك النبيُّ أسال دمعاً حينما ... جبريلُ جاء بفاجع الأنباءِ
وأراه تربةَ كربلاءَ فلم تكن ... إلا سَميّة كربةٍ وبلاءِ
فيها أجال بنو أمية خيلَهم ... عند الصباح لفتنةٍ عمياءِ
لقتال آلِ محمدٍ وعميدِهم ... سبط الرسولِ وقدوة العلماءِ
فبدا عليهم بالنصيحة مشفقاً ... مستفتحاً بإنابةٍ ودعاءِ
لله رب العالمين ومن به ... تنجاب كل مصيبةٍ دهياءِ
ومخاطباً شرّ العباد بأنكم ... خنتم بنقض العهد دون حياءِ
إذ جاءني كبراؤكم بعهودكم ... لغياثكم من سطوة السفهاءِ
فقد استباحوا المنكرات بفسقهم ... وبغوا على الأخيار والشرفاءِ
واليومَ أنتم للطغاة جنودُهم ... تلقوننا بالخيل شرّ لقاءِ
هلّا رجعتم للعقول وحكمها ... أبقتلنا حكمتْ كخير جزاءِ!
أم أنكم أركستمُ في جبنكم ... واستعبدتكم أرذلُ الأهواءِ
أترون في قتلي صلاحَ أموركم ... ولكم يحلّ دمي وسبيُ نسائي!

أوَلستُ سبطاً وابنَ بنت نبيّكم وابنَ الوصيّ وخيرة الخلفاءِ؟
أوَ ليس جعفرُ ذو الجناح وحمزةٌ أسدُ الرسول عمومتي وسنائي؟
أوَ ما علمتم أنني وأخي لنا قال الرسولُ مبيّناً بجلاءِ
هذان مني سيّدان كلاهما لشباب أهل الجنة الفضلاءِ؟
فاذا شككتم فاسألوا من قد روى أقوالَه من صحبه النجباءِ
فأبا سعيدٍ وابنَ أرقمَ فاسألوا أو جابراً وسواه من خبراءِ
فيخبّروكم بالّذي أنبأتكم من قول خير الرسْل والشفعاءِ
ألكم قتيلٌ قد سفكتُ دماءه فبثأره جئتم لسفك دمائي!
أو تطلبوني بالقصاص جراحةً أو هُلكَ مالٍ ملزماً لأدائي!
لم يستمع منهم جواباً غيرَ ما بعثتْ حوافرُهم من الضوضاءِ
ولهم زهيرٌ قد تقدّم ناصحاً ومحذّراً من طغمةٍ حمقاءِ
ودعا لنصر ابن النبيّ وصحبه ولخذل طاغيةٍ ربيب رياءِ
ذاك الدعيّ ابنُ الدعيّ يسوقكم قسراً لأسوء خطّةٍ شنعاءِ
يبغي القضاء على بقيّة أحمدٍ من آله وصحابه الأصلاءِ
يلقي بكم في حربهم متشبّهاً بأبيه في أحقاده الجهْلاءِ
فهما عليكم بالعذاب تسلّطا وبكم أدارا فادح الأسواءِ
إذ يقطعان أيادياً أو أرجلاً ويمثّلان بخيرة الصلحاءِ
أمثال حجرٍ وابن عروةَ هانئٍ وسواهما من صفوة العرفاءِ
إن ابن فاطمةٍ أحقّ بنصركم من أدعياء سميّة الرعناءِ
فرموا زهيراً بالسباب وأردفوا ذكرَ الطغاة بوافر الاطراءِ
ورماه شمرٌ بالسهام مسكّتاً متبجّحاً بالكبر والخُيلاءِ
وأتاه من قبَل الامام نداؤه أقبلْ فقد أحسنتَ في البُلغاءِ
لكنهم قومٌ أحاط عقولَهم خوفُ الطغاة فليس من عقلاءِ
إلا أبيّاً كان من فرسانهم قد أدركته رجاحةُ الفُهماءِ
فإلى الحسين أتى يسوق جوادَه خجلاً لما أبدى من الايذاءِ
ومطأطئاً رأساً لديه وباكياً ندَماً على ما جاء من أخطاءِ

ومـــن القـــدير عليـــه يطلـــب توبـــةً　　وإقالـــةً مـــن أرحـــم الرحمـــاءِ

لبنـــي ريـــاحٍ كـــان فخـــراً حُـــرّهم　　ولـــــه تحقـــق أنســـب الأســـماءِ

إذ كـــان حـــرّاً يـــوم فـــاز بعـــزةٍ　　تهمـــي الثنـــاءَ كديمـــةٍ هطـــلاءِ

فتقـــدم الحُـــرّ الشـــجاعُ لقومـــه　　يلقـــي نصـــيحةَ أصـــدق النُصـــحاءِ

أنْ بـــئس مـــا نزعـــتْ اليـــه نفوســـكم　　فـــي غـــدرها بـــالعترة الخُلصـــاءِ

هـــذا الحســـين دعوتمـــوه لمقـــدمٍ　　وأتـــاه صـــارخُكم بكـــل رجـــاءِ

ثـــم انثنيـــتم حـــين جـــاء لنصـــركم　　كـــي تُســـلموه لقبضـــة الحقـــراءِ

ومنعتمـــوه وأهلَـــه مـــن مـــأمنٍ　　وعـــن الفـــرات فمـــا لهـــم مـــن مـــاءِ

وتكـــاد مـــن عطـــشٍ تُفـــتّ قلـــوبُهم　　وابـــنُ الـــدعيّ بمـــأمنٍ ورواءِ

بـــل تطلبـــون مـــن الحســـين تنـــازلاً　　عـــن دينـــه لمنـــافقٍ خطّـــاءِ

أو تقتلـــوه اذا أبـــى وصـــحابَه　　ثكلـــتكم الآبـــاء مـــن بُلَهـــاءِ

فرمتْـــه بـــالرفض المقيـــت نبـــالُهم　　تُنبـــي بفهـــم بهـــائم الصـــحراءِ

وقُبيـــل شـــبّ الحـــرب نـــارَ وطيســـها　　أفضـــى الوصـــيّ ببثّـــة البُرَحـــاءِ

إذ قـــال تبّـــاً يـــا جماعـــةَ ســـوءةٍ　　لكـــمُ وتعـــسَ مذلّـــةٍ وشـــقاءِ

يـــا مـــن غـــدرتم ناقضـــين عهـــودَكم　　أن تبـــذلوا لنصـــيركم بســـخاءِ

واليـــومَ أنـــتم تجمعـــون خيـــولكم　　وســـيوفَكم إلبـــاً علـــى النُصـــراءِ

وحشـــتمُ نـــاراً علينـــا بعـــدما　　كنـــا اقتـــدحناها علـــى الأعـــداءِ

ونصـــرتمُ أعـــداءنا فـــي ظلمهـــم　　لخســـيس عـــيشٍ عنـــدهم وغـــذاءِ

مـــن غيـــر عـــدلٍ عمّكـــم فـــي حكمهـــم　　إلا الحـــرامُ ينـــالكم بســـواءِ

هـــلّا كشـــفتم مـــا انطـــوى بقلـــوبكم　　لولائنـــا مـــن بغضـــةٍ وجفـــاءِ

مـــن قبـــل أن نغتـــرّ فـــي إصـــراخكم　　ونســـلّ ســـيفاً صـــادقَ الامضـــاءِ

لكـــن تـــداعيتم الينـــا كالـــدبى　　أو كـــالفَراش بخفّـــةٍ وغبـــاءِ

قبحـــاً لكـــم مـــن أمّـــةٍ لطغاتهـــا　　تُنمـــى وشـــرّ عصـــابةٍ نكـــراءِ

ومحرّفـــي كلـــم الكتـــاب ومبتغـــي　　إطفـــاء نـــور الســـنّة البيضـــاءِ

وعصـــابة الآثـــام والعهـــر الـــذي　　وُضـــعتْ بـــه الأنســـابُ لابـــن زنـــاءِ

ومفرّقـــي شـــمل الـــبلاد وقـــاتلي　　آل النبـــيّ وخيـــرة الســـفراءِ

فلهـــم غـــدوتم عامــــدين بنصـــركم ولنـــا بســـوء الخـــذل والبغضـــاءِ

لكنــــه خـــــذلٌ عليــــه أصـــولُكم وُشـــجتْ ومنـــه فـــروعُكم بنمـــاءِ

وعليـــه قـــد نبتـــتْ نيـــاط قلـــوبكم وصـــدورُكم منـــه اكتســـتْ بغطـــاءِ

ركـــز الـــدعيّ ابـــنُ الـــدعيّ لفســـقه بـــين اثنتـــين بأســـفه الآراءِ

إمـــا بســـلّة ســـيف بغـــيٍ فوقنـــا أو أن نُقـــاد بذلّـــة الأسَـــراءِ

هيهـــات منـــا ذلّـــةٌ يـــأبى لنـــا ربّ الأنـــام وصـــفوةُ الحنفـــاءِ

تـــأبى جـــدودٌ فـــي الأطايـــب أصـــلها وحجـــورُ ربّـــتْ طـــاهرَ الأبنـــاءِ

مـــن أن نفضّـــل طاعـــةَ لمذبـــذبٍ نجـــسٍ علـــى قتـــلٍ مـــع الكرمـــاءِ

والله لا أعطـــي يـــدي عـــن ذلّـــةٍ بـــل لا أفـــرّ فـــراركم كإمـــاءِ

وألاءِ صـــحبي قلّـــةٌ فـــي عـــدّهم لكـــنهم أمـــمٌ مـــن العظمـــاءِ

يستأنســـون بمـــوتهم فـــي مصـــرعٍ عـــينُ الرســـول تـــراه والزهـــراءِ

فـــبهم لـــردع الظـــالمين وكفـــرهم أنـــا زاحـــفٌ بعزيمـــةٍ ومضـــاءِ

وبكـــم قريبـــاً بعـــد قتـــل ولـــيّكم ســـتدور مســـرعةً رحـــى الأرزاءِ

عهـــدٌ الـــيّ موثّـــقٌ مـــن مخبـــرٍ جبريـــلُ يخبـــره بغيـــب قضـــاءِ

يـــا ربّ فـــاحبس عـــنهمُ قطـــر الســـما وابعـــث علـــيهم مـــن ســـنين فنـــاءِ

ســـلّطْ غـــلام ثقيـــف يســـقي جمعهـــم بكـــؤوس مـــوتٍ للجنـــاة مـــلاءِ

واجعلـــه فـــيهم ســـيف منـــتقمٍ لنـــا مـــن كـــل وغـــدٍ بـــالأذى مشـــاءِ

وزعمـــتَ يـــا عمـــر بـــن ســـعدٍ أنمـــا ترقـــى بقتلـــي ذروةَ الـــوزراءِ

فتكـــون فـــي جرجـــان والـــريْ واليـــاً لابـــن الـــدعيّ وأقـــربَ الشـــركاءِ

هيهـــات مـــا ترجـــو وحـــقّ الهنـــا فلـــك البـــوارُ وعيشـــةُ التعســـاءِ

عهـــدٌ الـــيّ بـــأن رأســـك صـــائرٌ غرضـــاً بأيـــدي صـــبيةٍ ضـــعفاءِ

فاصـــنع صـــنيعك ســـوف تلقـــى ذلـــةً بعـــدي ونـــار جهـــنم الطخيـــاءِ

فاغتـــاظ مـــن حـــرّ الوعيـــد بكِبـــره عمـــرٌ وصـــاح لغـــارةٍ شـــعواءِ

ورمـــى بســـهمٍ بادئـــاً فـــي حربـــه ولـــه أراد شـــهادة الخلطـــاءِ

وانهـــال مـــن رمـــي العتـــاة بـــإثره مطـــرُ النبـــال بعســـكر النـــبلاءِ

مـــا عـــاد مـــن صـــحب الحســـين مقاتـــلٌ لـــم يـــدمَ مـــن نشّـــابةٍ عشـــواءِ

فعـــلا نـــداء السـبط فـــي أصـحابه قومـــوا لمـــوتٍ فيـــه عـــزّ بقـــاءِ
فتســـابقوا لندائـــــه فـــــي لهفـــةٍ لحتـــــوفهم جـــذلين غيـــرَ بِطـــاءِ
مـــن كـــل مرضـــي الفعـــال موحّـــدِ ورعٍ تقـــــيٍ طـــــاهر الآبـــــاءِ
مـــن كـــل حـــرّ رافـــضٍ لمذلـــةٍ لا يســـــتكين كســـائر الجبنـــاءِ
صـــافٍ ســـليم الأصـــغرين ودينُـــه كالبـــدر يســـطع فـــي دجـــى الظلمـــاءِ
متبصّـــر نهـــج الهـــدى بالمرتضـــى يـــأتمّ لا بامامـــــة الســـــخفاءِ
يمضـــي علـــى حـــدّ السـيوف مجاهـداً أعـــداءَ ديـــن الشـــرعة الســـمحاءِ
كالليـــث يقـــتحم الـــوغى مستبســـلاً حيـــث النصـــالُ تســـدّ كـــل فضـــاءِ
ولـــه الحســـينُ مشـــيّعٌ لجنانـــه فتـــراه مبتشـــراً بخيـــر فـــداءِ
مـــنهم بُرَيـــرُ بعلمـــه وبزهـــده ذاك التقـــيّ وســـيّدُ القـــرّاءِ
مـــا اهتـــزّ يـــوم الـــروع منـــه فـؤادُه بـــل كـــان مبتســـماً لـــدى الغمّـــاءِ
مستبشـــراً بـــالموت فـــي غصّـــاته دار الخلـــود وجنّـــة الســـعداءِ
فـــي نصـــر ديـــن المصـــطفى ووصـــيّه مـــن أسْـــر كـــل منـــافق حربـــاءِ
فمضـــى بُريـــر بســـيفه متحـــدّياً جمـــعَ الســـيوف بســـاحة الـــدهماءِ
نـــاداه عِلـــجٌ مـــن علـــوج أميـــةٍ بـــتهكّمٍ مـــن شـــامتٍ غوغـــائي
أرأيـــتَ صـــنع الله فـــي إضـــلالكم عـــن نهـــج آلِ أميـــة الأكفـــاءِ
حتـــى غـــدوتَ مقيّـــداً بحـــرابهم لا تهتـــدي منهـــا ســـبيلَ نجـــاءِ
فـــالحقّ فـــيهم راســـخٌ ومؤكّـــدٌ وبـــك الضـــلالُ وكـــاذبُ الغلَـــواءِ
فأجابـــه فـــوراً بُريـــر مبـــاهلاً أنّ المضـــلّ أحـــقّ بـــالارداءِ
وتبـــارزا فـــاذا بُريـــرُ بضـــربةٍ ألقـــى بـــرأس العلـــج فـــي الرمضـــاءِ
لكـــنْ ســـنانُ الغـــدر غـــاب بظهـــره فهـــوى شـــهيدَ العـــزة القعســـاءِ
أو مســـلمٌ بطـــل الفتـــوح ومـــن لـــه شـــهد العـــدوّ بعفّـــة وصـــفاءِ
وشـــجاعةٍ فـــي الحـــرب قـــلّ مثيلُهـــا وزهـــادةٍ أربـــتْ علـــى النُظَـــراءِ
صـــحبَ الرســـولَ ومنـــه زاد بصـــيرةً ولـــدى علـــيٍّ كـــان فـــي الجلســـاءِ
ومـــن الحســـين مولّهـــاً فـــي حبـــه حتـــى فـــداه بـــأنفس الأشـــياءِ
بـــالنفس وسّـــدها التـــرابَ صـــريعةً توصـــي لـــه بمحبـــةٍ ووفـــاءِ

مـــا كـــان أوفـــى مسـلماً لوليّـــه فـــي بـــذل آخِـــر غصّـــةٍ بـــذماءِ

وزهيـــرُ قـــد حـــلّ الحســـينُ لعقلـــه عُقـــد الشـــكوك فعـــاد دون مـــراءِ

لا يرتضـــي رغَـــدَ الحيـــاة وخُلـــدَها وحســـينُ لـــم يـــنعم بعـــيش هنـــاءِ

ولديـــه هـــان الجـــمّ مـــن أموالـــه فـــإلى الحســـين يُهـــان كـــلّ ثـــراءِ

ولألـــفُ قتـــلٍ دون ســـبط محمـــدٍ أشـــهى لـــه مـــن عيشـــة النعمـــاءِ

فلزوجـــه ألقـــى الطـــلاقَ مودّعـــاً وعليـــه صـــار الصـــحبُ كالغربـــاءِ

إلا حســـيناً صـــار فـــي فســـطاطه أقصـــى منـــاه وغايـــةُ الحوبـــاءِ

حتـــى أراق علـــى الثـــرى فـــي حبّـــه دمَـــه ابتغـــاء تقـــرّبٍ ورضـــاءِ

فاختصّـــه ســـبط النبـــيّ بـــدعوةٍ لا يُبعـــدنْك اللهُ فـــي البُعَـــداءِ

وحبيـــبُ كـــان مـــن الرســـول بصـــحبةٍ ومـــع الأميـــر بموضـــع الوجهـــاءِ

وافـــى عليّـــاً فـــي جميـــع حروبـــه بشـــجاعةٍ ونزاهـــةٍ ونقـــاءِ

إذ كـــان فـــي صـــحب الأميـــر مقـــدّماً فـــي قـــادة الأجنـــاد والرؤســـاءِ

بتقـــى علـــيٍّ صـــار أخلـــص عابـــدٍ وبعلمـــه أضـــحى مـــن الفقهـــاءِ

ولطالمـــا ســـأل الالـــه شـــهادةً جنـــبَ الوصـــيّ وهـــازم الخصـــماءِ

بـــل كـــان يبكـــي حســـرةً لنوالهـــا عقـــبَ الحـــروب وخوضـــها بجَـــداءِ

فأتتـــه مـــن قِبَـــل الأميـــر بشـــارةٌ ســـتنالها مـــع ســـيّد الشـــهداءِ

فـــي كـــربلا معـــه تـــرى بنصـــالهم غـــدرَ اللئـــام يشـــعّ فـــي البيـــداءِ

ومضـــت ســـنونُ العمـــر يكثـــر همُهـــا وحبيـــبُ يحمـــل أثقـــل الأعبـــاءِ

حتـــى أتـــاه علـــى تقـــدّم سِـــنّه ســـؤلُ الحســـين بنصـــرةٍ وعطـــاءِ

فمضـــى يحـــثّ خطـــاه نحـــو معســـكرٍ فيـــه المنـــى مـــن أصـــدقُ البشَـــراءِ

مـــا كـــان أســـرع نيلَـــه لشـــهادةٍ كـــان الحســـين لهـــا مـــن القرنـــاءِ

وســـما أبـــو وهـــبٍ لأرفـــع موقـــفٍ وبـــدا بـــه مـــن أحكـــم الحكمـــاءِ

يـــوم اجتلـــى عنـــد النُخيلـــة عســـكراً خرجـــوا لطاعـــة أجهـــل الزعمـــاءِ

ويُســـرّحون لقتـــل ســـبط نبـــيّهم متعـــاونين تعـــاون الحلفـــاءِ

فـــرأى أبـــو وهـــبٍ وجـــوبَ جهـــادهم كجهـــاد أهـــل الشـــرك والاغـــواءِ

فمضـــى لنصـــر الســـبط يصـــحب زوجـــةً معـــه أرادتْ رحلـــة الـــلأواءِ

فلنصـــــر آل محمـــــد فــــي حقهـــم ســــتهون كـــلّ مشــــقّةٍ وعنـــاءِ
مــــا كـــان أعظـــم أمّ وهـــبٍ حينمـــا حمــــي الـــوطيسُ وفـــار بالأشـــلاءِ
كانـــت تحـــرّض زوجهـــا وتحثّـــه لقتـــال أهـــل ضـــلالةٍ وعمـــاءِ
نادتـــه قاتـــلْ دون آل محمـــدٍ خيـــرِ البرايـــا مـــن بنـــي حـــوّاءِ
وجـــرتْ لميـــدان الـــوغى فـــي لهفـــةٍ بعمودهـــا تهـــوي علـــى الزُنمـــاءِ
تبغــــي الشـــهادة دون عتـــرة أحمـــدٍ مـــع زوجهـــا فـــي عـــزةٍ وعـــلاءِ
لكـــن أراد الـــزوج منهـــا عـــودةً نحـــو النســـاء ورجعـــةً لخبـــاءِ
ورأتـــه ليثـــاً واغـــلاً بـــدمائهم يفـــري بســـيفٍ فـــي يـــدٍ ســـمراءِ
حتـــى اذا اجتمعـــتْ عليـــه ســـيوفهم ورمـــاحُهم بـــدناءة الوُضَـــعاءِ
هُرعـــتْ لمصـــرعه المضـــمّخ لبـــوةً لـــم تخـــشَ فيـــه شراســـة الرقبـــاءِ
وبكفهـــا مســـحت معفّـــرَ وجهـــه ولهـــى تهنّئـــه بحســـن ثـــواءِ
فاغتـــاظ شـــمرُ الـــرجس منهـــا آمـــراً فـــي قتلهـــا زنمـــاً مـــن اللقطـــاءِ
فمضـــت شـــهيدةَ دينهـــا وإمامهـــا فخـــراً لكـــلّ تقيّـــةٍ معطـــاءِ
وأجـــنّ حـــبّ الســـبط عـــابسَ شـــاكرٍ ذاك اللبيـــبُ وأخطـــبُ الخطبـــاءِ
أســـدُ الأســـود فـــلا يُقابـــل فـــي الـــوغى إلا بـــزجّ كتيبـــةٍ شـــهباءِ
جـــاء الحســـينَ مجـــاهراً فـــي حبّـــه يُهديـــه روحـــاً صـــادقَ الاهـــداءِ
بـــالله يقســـم مـــا علـــى ظهـــر الثـــرى أمســـى قريـــبٌ أو بعيـــدٌ نـــائي
بـــأعزّ منـــك ولا أحـــبّ لمهجتـــي ودمـــي فـــداء الطلعـــةِ الغـــرّاءِ
لـــو أنّ لـــي شـــيئاً أعـــزّ علـــيّ مـــن نفســـي لهـــان اليـــك فيـــه فـــدائي
إنـــي علـــى هـــدي النبـــيّ محمـــدٍ أصـــفي اليـــه مـــودّةَ القربـــاءِ
مـــن آلـــه الأطهـــار أنـــت وصـــيّه وتمـــامُ حجّتـــه لـــدى البُصـــراءِ
فعليـــك مـــن ربّ الأنـــام صـــلاتُه وســـلامُه فـــي دائـــم الآنـــاءِ
ومشـــى لســـاح الحـــرب عـــابسُ مصـــلتاً ســـيفاً أثـــار الرعـــبَ فـــي الغرمـــاءِ
نـــادى ألا رجـــلٌ يبـــارز راجـــلاً وعليـــه تبـــدو شـــيمةُ البســـلاءِ؟
ورمـــى بمِغفـــره ومُحكـــم درعِـــه يغـــري المُنـــازلَ أيمـــا إغـــراءِ
لكـــنهم جبنـــوا وخـــاف أميـــرُهم وتســـابقوا بفـــرارهم كجِـــداءِ

فاشــتدّ عــابسُ فــي الجمــوع مطــارداً كطـــراد ضـــرغامٍ قطيـــعَ الشـــاءِ
لمـــا رآه ربيـــعُ همـــدانَ الـــذي شـــهد الشـــجاعةَ منـــه فـــي البأســاءِ
نـــادى يحـــذّر مـــن لقـــاء غضـــنفرٍ بطـــلٍ يصـــيب القـــرنَ بالضـــرّاءِ
ورأى ابـــنُ ســـعدٍ أن يُصـــار لقتلـــه رضـــخاً بكـــل حجـــارةٍ خشـــناءِ
فانهـــال مـــن مطـــر الحجـــارة وابـــلٌ يجتـــاح نـــارَ العشـــق بالاطفـــاءِ
وتعطّفـــوا بســـيوفهم ورمـــاحهم تهـــوي عليـــه بخسّـــة الأدنـــاءِ
فهـــوى صـــريعَ ولائـــه وبعينـــه نحـــو الحســـين بقيّـــةُ الايمـــاءِ
ومـــن الهواشـــم عصـــبةٌ علويّـــةٌ قطعـــتْ علـــى الأرواح عهـــدَ ولاءِ غمّاء
لله ربّـــاً والنبـــيّ محمـــدٍ ولدينـــهِ ولآلـــهِ الأمنـــاءِ
لا تنحنـــي للظـــالمين وبغـــيهم تـــرد الحتـــوفَ بعـــزّةٍ وإبـــاءِ
نهضـــتْ تجالـــدهم بـــأروع مشـــهدٍ يثنـــي عليـــه الـــدهرُ كـــل ثنـــاءِ
إذ كـــرّ شِـــبهُ المصـــطفى بجـــواده يـــنقضّ صـــاعقةً علـــى النـــذلاءِ
ونســـاءُ آلِ محمـــدٍ ينـدبْنـــه ولـــه الحســـينُ مـــودّعٌ برثـــاءِ
أشـــبهتَ أخـــلاقَ النبـــيّ وخلقَـــه وعلـــوّ منطقـــهِ علـــى الفصَـــحاءِ
كنـــا إذا اشـــتقنا لوجـــه نبيّنـــا نســـعى لرؤيـــة وجهِـــك الوضّـــاءِ
وعلـــى علـــيٍّ عينُـــه ملهوفـــةٌ لمّـــا رآه يصـــول فـــي الهيجـــاءِ
ويجـــدّل الأبطـــالَ خـــاطفُ ســـيفهِ مـــا ردّه عطـــشٌ الـــى الاعيـــاءِ
حتـــى أصـــاب الـــرمحُ غـــدراً ظهـــره وبطعنـــةٍ مـــن أخبـــث الخبثـــاءِ
فمضـــى بـــه الفـــرسُ الـــذهول لخصـــمه وغـــدا بســـاحة أرذل الـــرذلاءِ
تنهـــال مـــن حقـــدٍ عليـــه ســـيوفُهم ورمـــاحهم مـــن خسّـــةٍ ودَنـــاءِ
وجثـــا لديـــه الســـبطَ يلـــثم نحـــرَه بدمائـــه يرمـــي عنـــانَ ســـماءِ
مـــا عـــاد منـــه الـــى الثـــرى مـــن قطـــرةٍ بـــل قـــد حمتْـــه ملائـــكُ العليـــاءِ
واهتـــاج مـــن قلـــب الحســـين نـــداؤه ثكِـــلاً يبـــثّ بآهـــة الصُـــعَداءِ
يـــا ربّ فاجعـــلْ قاتليـــه بفرقـــةٍ واصـــببْ علـــيهم نقمـــةَ الأمـــراءِ
فـــألاءِ قـــومٌ قـــد دعونـــا نصـــرةً ثـــم اســـتباحوا قتلنـــا بعَـــداءِ
قـــد ســـارعوا فـــي غـــدرهم لمعســـكرٍ مـــا فيـــه إلا فاســـقٌ ومرائـــي

ما عاد بعدك يا عليّ سوى الأسى يقضي على الدنيا بشرّ عَفاءِ
وبدا الحسينُ يكفّ من عبراته وعليه سيما أصبر الصبَراءِ
ومن الخيام مشى له طفلٌ يُرى من ذعره كحمامةٍ ورقاءِ
متلفّتاً ليمينهِ وشمالهِ متذبذبَ القرطين في الوعثاءِ
فجرى اليه بسيف حقدٍ فارسٌ جلفٌ زنيمٌ من بني الفحشاءِ
فهوى قتيلاً جعفرٌ بطفولةٍ أمستْ تبذّ رجولةَ الكبراءِ
وسواه طفلٌ ما أتمّ فطامَه يُرمى بحِجر السبط شرّ رماءِ
إذ غاب سهم الكافرين بنحره ضنّوا عليه بنسمةٍ لهواءِ
فغدا ذبيحاً والحسينُ بكفّه يلقى دماه بلوعةٍ ونداءِ
يا ربّ عذّبْ قاتليه لجرمهم أنت السميع لما جنوا والرائي
يا ربّ أنت وليّنا ووكيلنا لا نستعين سواك من وكلاءِ
واشتدّ من بيت الحسين ضراغمٌ ترمي الحتوفَ بنظرة استهزاءِ
وتوادعوا نحو المنايا قصدُهم كلٌ بسيفٍ في يدٍ جذّاءِ
فتيانُ جعفر أو عقيلٍ جلّهم وبنو عليّ خيرةُ النقباءِ
فمضوا شهيداً تلو آخر لا تني عزماتُهم في الحرب أيّ وناءِ
منهم أبو الفضل القطيعةُ كفّه وتراه حاضن قربةٍ ولواءِ
ليبرّ وعداً للفواطم أنه سيبرّد الأكبادَ بالارواءِ
ويظلّ حاملَ رايةٍ قدسيّةٍ حتى تُضرّجَ من دم الأحشاءِ
آلى على الكبد الظميّة شربةً أعظمْ بها من نُصرةٍ وإخاءِ
هانت لديه النفسُ بعد إمامه وقلوبِ آلِ للوصيّ ظِماءِ
قد صال ضرباً في العدوّ بسيفه كالبرق منقضّاً من الجوزاءِ
فمجدّلٌ من ضربه ومهزّمٌ بالرعب فرّ مرجّف الأعضاءِ
وقنى العدوّ بظهره قد كاثرتْ وقع السهام بصدره اللألاءِ
فهوى بأعمدة اللئام كأنما قمرُ السماء هوى على الغبراءِ
وبجنبه سقط اللواءُ مضمّخاً بدمائه وعليه شِلوُ سِقاءِ
فبكى الحسينُ له وأبّن نادباً فُقد الكفيلُ وسيّدُ الكفلاءِ

فالآن ظهري بان فادحُ كسرهِ … والآنَ قلّتْ حيلتي وغَنائي

وتسارعتْ خيلُ العتاة لرحلهِ … حَرَماً وأطفالاً بغير وِقاءِ

فَعَلا من السبط الأبيّ نداؤه … يا ويحكم يا شيعةَ الطلقاءِ

إن لم يكن دينٌ لكم ترعونه … أبداً ولا تخشون يومَ جزاءِ

فتحرّروا أو راجعوا أحسابَكم … إن كنتمُ عرُباً من العرْباءِ

ولتمنعوا جهّالكم وطغامَكم … عن عترتي ما دمتُ في الأحياءِ

فأحاطه جُندُ الفسوق بخيلهم … ورمَوه من متفرّق الأنحاءِ

فاشتدّ يهزم جمعَهم بحسامهِ … في ضربةٍ أو طعنةٍ نجلاءِ

وارتدّ من عطشٍ يسوق جواده … نحو الفرات لشربةٍ من ماءِ

لكنهم حملوا عليه لمنعهِ … وسقاه وقعُ سهامهم بدماءِ

وعليه أمطر وابلٌ من نبلهم … ورماحهم وحجارة الدُخلاءِ

فبدا لمشتبك النبال كأنه … من جلد قنفذَ مرتدٍ برداءِ

وتقاسمتْه ذئابُهم بنصالها … ضرباً وطعناً مقرَناً بعُواءِ

وعلاه سيفٌ من لعينٍ حاقدٍ … وتلاه رمحٌ من ذوي الشحناءِ

فكبا صريعاً بينهم ولسانُه … لهجٌ بذكر الله ذي الآلاءِ

واليه شمرُ الفسق أهوى قاطعاً … رأساً أبى عن ذلّة الاحناءِ

فالأرض كادت أن تميد بأهلها … فأقامها للثأر أمرُ قضاءِ

إذ يرفع المهديّ رايةَ ثأره … من كل طاغٍ فاسد الأطواءِ

ويقيم حكم الله رغم أنوفهم … مستحكماً في دولةٍ عصماءِ